رقم الترميز الدولي / ISSN (P): 2710-2653
ISSN (E): 2960-253X /
رقم الايداع الوطني / 2375 / 2019

تاريخ استلام البحث ٢٢ / ١٠ / ٢٠٢٥
تاريخ قبول البحث ٢٥ / ١١ / ٢٠٢٥
تاريخ النشر ٣٠ / ١٢/ ٢٠٢٥

نقد الديمقراطية في الفكر السياسي الليبرالي النخبوي المعاصر (ليو شتراوس – انموذجاً)

Criticism of democracy in contemporary elitist liberal political thought Leo Strauss - a model

الباحث: غيث طالب عواد

Researcher: Ghaith Taleb Awad

جامعة بغداد / كلية العلوم السياسية

University of Baghdad / College of Political Science

ghaithtalib90@gmail.com

IRAQI Academic Scientific Journals

https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/229

الملخص

تناولت هذه الدراسة موضوعة مهمة وهي (نقد الديمقراطية في الفكر السياسي الغربي الليبرالي النخبوي المعاصر) وكان ليو شتراوس أنموذجاً لهذه الدراسة كونه أبرز نقاد الديمقراطية في هذا الاتجاه (النخبوي اليميني). وزعت الدراسة الى ثلاثة محاور تناولنا في المحور الاول نقد الديمقراطية كنظام للحكم عند ليو شتراوس وسلطنا الضوء على موقفه من الديمقراطية الليبرالية وخصوصاً (ليبرالية فايمار) التي كان يرى فيها سبب لصعود الدكتاتورية الى سدة الحكم وبالتالي تسببت بأضطهاد اليهود وتعذيبهم. أما المحور الثاني فقد كان مخصص لدراسة نقد ليو شتراوس الى آليات ومرتكزات الديمقراطية, والمحور الثالث فقد خصصناه لدراسة الديمقراطية النخبوية كبديل أصلاحي بعد نقد شتراوس للديمقراطية الليبرالية, فضلاً عن وجود خاتمة خرج بها الباحث بعدة أستنتاجات ولعل أهمها هو ان الديمقراطية عند ليو شتراوس ديمقراطية النخبة وليس ديمقراطية الجماهير ويجب ان تكون قاصرة على فئة صغيرة, حيث نظّر شتراوس إلى ما يسميه "التعليم الليبرالي" من أجل إعداد نخبة السادة "الجنتلمان" عبر ضرورة التفلسف عن طريق الاستماع إلى التخاطب بين العقول العظيمة، ويعتبر شتراوس التعليم الليبرالي هو سم مضاد لآثار المفسدة الذي تسببه الثقافة الجماهيرية على الديمقراطية.

الكلمات المفتاحية: "نقد الديموقراطية"،" ليو شتراوس"،"الليبرالي المعاصر"،"نظام حكم"،"الفكر السياسي"

Abstract

This study dealt with an important topic, which is (criticism of democracy in Western liberal, elitist political thought). Leo Strauss was a model for this study, being the most prominent critic of democracy in this direction (right-wing elitist). The study was divided into three axes. In the first axis, we dealt with the criticism of democracy as a system of government for Leo Strauss, and shed light on his position on liberal democracy, especially Weimar liberalism, in which he saw a reason for the rise of dictatorship to power, and thus caused persecution and torture of Jews. As for the second axis, it was dedicated to studying Leo Strauss' criticism of the mechanisms and foundations of democracy, and the third axis was devoted to studying elite democracy as a reformist alternative after Strauss' criticism of liberal democracy, in addition to the presence of a conclusion with which the researcher came out with several conclusions, perhaps the most important of which is that democracy for Leo Strauss is elite democracy and not The democracy of the masses and should be limited to a small group, as Strauss theorized what he calls "liberal education" in order to prepare the elite "gentlemen" through the necessity of philosophizing by listening to the conversation between the great minds, and Strauss considers liberal education as an anti-poison to the corrupting effects that It is caused by mass culture over democracy.

Keywords: "Critique of Democracy," Leo Strauss, "The Contemporary Liberal," "System of Government," "Political Thought"

المقدمة

يمثل الاتجاه النخبوي أحد أبرز مظاهر النقد للديمقراطية, حيث يقوم تفسيره على أفتراض أساسي مفاده ان الجماهير لا تستطيع أبداء الرأي في المشاكل المعقدة التي تواجه المجتمع الحديث, الامر الذي يترتب عليه أتاحت دور أكبر للنخبة, ومن ثم فأن المجتمع ينقسم الى فئتين الاولى الفئة الحاكمة والاخرى فئة الجماهير, ومن هذا المنطلق والأفكار التي تميز الفكر النخبوي عن الافكار ذات التوجه الشعبي والجماعي سيتم التطرق الى الموقف النقدي النخبوي الى نظرية الديمقراطية, وبما ان الحديث يطول في مواقف النخبوية وأنتقاداتها للديمقراطية بسبب كثرة مفكريها سيتم التركيز على أفكار أحد أبرز مفكري هذا الاتجاه وهو منظر المحافظين الجدد ليو شتراوس. وكيف طرح بديله الاصلاحي بعد نقده للديمقراطية الليبرالية.

أهمية الدراسة: تنبع أهمية الدراسة من منطلق معرفة الموقف النقدي للعقلية المحافظة – النخبوية, وكيف كان موقفها من أبرز نظام للحكم, والمتمثل بالديمقراطية وأنواعها, وكيف بررت نقدها للحكم الديمقراطي بأشكاله المتنوعة ذات الحكم الشعبي والقائم على المشاركة الواسعة, وكذلك تنبع اهمية الدراسة ايضاً من معرفة أي نظام حكم من الديمقراطية مفضل لهذا الأتجاه بعد نقدها للديمقراطية وآلياتها ومرتكزاتها.

مشكلة الدراسة: تنطلق الدراسة من مشكلة اساسية مفادها معرفة كيف تناول ممثل الاتجاه الليبرالي النخبوي (ليو شتراوس) الديمقراطية هل كان من مؤيدي الفكر الديمقراطي؟ ام كان ناقد؟ واذا كان ناقداً فكيف وجه نقده لها هل نقد الديمقراطية بأكملها ام الى بعض من أنواعها وجوانبها؟ وما هي الخلاصة التي أنتهى بها بعد نقده للديمقراطية؟

فرضية الدراسة: تنطلق الدراسة من فرضية اساسية في الاجابة على ما طرحته مشكلة الدراسة من تساؤلات, وهي ان (ليو شتراوس) نقد عدة أنواع من الديمقراطية فضلاً عن بعض من آلياتها ومرتكزاتها, وبعد نقده طرح بديله الاصلاحي والمتمثل بالديمقراطية النخبوية التي تقوم أساساً على مجموعة صغيرة تتولى الحكم من ذوي الخبرة والمعرفة, وليس كما تعمل الديمقراطيات الاخرى ذات المشاركة الواسعة.

مناهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج الاستنباطي وعدة مداخل للوصول إلى أهدافها وغايتها على وفق ما تقضيه المتطلبات العلمية وبالشكل الاكاديمي، إذ تم أستعمال المنهج الاستنباطي بهدف أستخراج الافكار النقدية من مجموعة أفكار المفكر والانتقال من الكل الى الجزء, من أجل ان يخدم هدف الدراسة, أما المداخل فقد استعملنا المدخل التاريخي, للوقوف على الجذور الفكرية لنقد الديمقراطية لدى (ليو شتراوس) من خلال تتبعه للديمقراطية عبر العصور ومدى ارتباطها بالواقع المعاصر، كما واعتمدت الدراسة ايضا على المدخل التحليلي لتفسير أفكاره حول الديمقراطية، وتحليها والتعرف على اهدافها وكيف تم نقدها.

هيكلية الدراسة: قسمت الدراسة الى ثلاثة محاور أساسية, ومقدمة وخاتمة, المحور الاول حمل عنوان (نقد الديمقراطية كنظام للحكم عند آلان تورين), أما المحور الثاني فكان بعنوان (نقد آليات ومرتكزات الديمقراطية عند آلان تورين) أما المحور الثالث فقد كان بعنوان (الديمقراطية الاجتماعية عند آلان تورين).

الدراسات السابقة:

١- أطروحة دكتوراه بعنوان(جدلية النخبوية والديمقراطية في الفكر السياسي الغربي المعاصر), للباحث أمجد حامد تناول الباحث في هذه الدراسة العلاقة الجدلية بين النخبوية والديمقراطية عند نماذج معاصرة من الفكر الليبرالي النخبوي مثل ليو شتراوس وريمون اَرون وغيرهم.

٢- كتاب باللغة الانكليزية بعنوان (The Crisis of Liberal Democracy) للمؤلفان .(Kenneth L. Deutsch and Walter Soffer) تناولا الباحثين في هذه الدراسة بعض الجوانب النقدية للديمقراطية عند ليو شتراوس والتي سببتها الحداثة وما صاحبها من تدهور.

اما دراستنا فقد تميزت عن الدراسات السابقة بأنها تناولت الجوانب النقدية عند المفكر ليو شتراوس والجوانب الاصلاحية معاً, أي انها كانت دراسة شاملة لمفهوم الديمقراطية عنده, ولم تقتصر على جانب دون الآخر. وبالاستناد الى مؤلفاته الشخصية من أجل الوقوف على الحقيقة النقدية والاصلاحية عنده.

المحور الاول: نقد الديمقراطية بوصفها نظاماً للحكم عند ليو شتراوس

ولد الفيلسوف السياسي الألماني الاصل الأمريكي الجنسية, (ليو شتراوس*) في ألمانيا عام (١٨٩٩) وتوفي في الولايات المتحدة الأمريكية عام (١٩٧٣). تلمذ شتراوس على يد كارل شميت مفكر النازية وتأثر ببعض أفكاره وكان من المقربين له ولكن عند وصول النازية الى سدة الحكم أجبر شتراوس على الهرب الى الولايات المتحدة بسبب أصوله اليهودية ومعادات السامية من قبل النازية, شتراوس كان ضد التمثيل الديمقراطي النيابي بشكله المعروف حيث يعتقد إن من الخطأ منح كل طبقات المجتمع والاميين ومختلفي القدرات الذهنية والعلمية الحق في رسم سياسة الدولة, ويعارض مشاركة طبقات المجتمع في تحديد ورسم سياسة الدولة ويرى إن الناس قابلياتهم متفاوتة لذا يجب عدم أخذ رأيهم في كل شيء. هذه الآراء كانت الدافع الأبرز للمحافظين الجدد حيث يعتقدون بالتفوق وضرورة الهيمنة والتوسع وعدم الاهتمام بآراء المخالفين التي تضعف الدولة وتحد من الهيمنة. بهذه الآراء أصبح شتراوس قدوة اليمين المتطرف وقادة صناعة الرأي العام المهيمنين على مراكز القوى في الولايات المتحدة. شتراوس كان يرى إن الديمقراطية هي سبب صعود هتلر للحكم وما خلفته من المجازر. وبصورة عامة هو ليس ضد الديمقراطية بالمطلق لكنه مع تجزئة وتقسيم صلاحيات وتدخلات عوام الناس والنخبة فللعوام أن يقولوا رأيهم بخصوص المواضيع التي تمس حياتهم مثل الضرائب والرسوم والتأمين الصحي والتعليم وما شابه من الامور الثانوية. وليس من حقهم التدخل وإبداء الرأي في قضايا كبرى مثل الاتفاقيات بين الدولة ودولة أخرى وإعلان الحرب والسياسات الكبرى للدولة من الامور المصيرية والخطرة, فهذه الامور متروكة لتشخيص ورأي النخب الحاكمة[١].

يتشاطر شتراوس الراي مع افلاطون في اعتقاده بأن الديمقراطية "متخلفة بسبب تخلف مستوياتها الأخلاقية وبسبب الأفكار الزائفة المسيطرة على حكم الغوغاء, وأنَّ ذلك يحدد موقفه السلبي من الديمقراطية بما يدعوه لأن يوجه نقده صوب الديمقراطية الليبرالية مؤسساً موقفه النقدي ذلك على الأسس الفكرية الديمقراطية الليبرالية، ويتجلى أثر واقع (شتراوس) السياسي في رؤيته الفكرية، فيما عاشته جمهورية فايمار من وهن وما تعرض له اليهود في ألمانيا من اضطهاد نفسي واجتماعي في ظل نظام جاءت به الديمقراطية الليبرالية[٢].

وفي معرض نقده للديمقراطية الليبرالية, من خلال نقده للحداثة,(*) وما تخلفه من أبادة للبشر بالأمور التقنية, يتحدث شتراوس عن حادثة الهولوكوست وأباده اليهود والتي يفهم منها ان في رأيه نظام (هتلر) هو نظام ديمقراطي بامتياز, وأن هتلر هو تجسيد لرجل الجماهير, وبخلاف غيره من الكتاب, لم يعتقد شتراوس ان الهولوكوست كانت طفرة شاذة في تاريخ الغرب, بل أنها في رأيه النتيجة المنطقية للحداثة, فأذا تسلح الرعاع بالقوة التقنية, فأن حكمهم يرمي الى أبادة أسمى الكائنات وأقدسها على الارض, ولم تكن أمريكا حينها بالنسبة لشتراوس ملاذ يرتجى, بل لأنها كانت بمثابة محاولة للنجاة من الحداثة والهروب الى قلب الدولة الكونية المتجانسة.[٣] وأشار شتراوس إلى أنَّ هناك أنظمة سياسية جيدة وأخرى سيئة، وهي فكرة أستمدها شتراوس من أفلاطون، ويجب على الأنظمة الجيدة أن تدافع عن نفسها في مواجهة الأنظمة الفاسدة وأشار أيضاً إلى حقيقة مفادها:" أنَّ الحداثة تحث على التنديد بالقيم الأخلاقية"، ورأى: " أنَّ الفضيلة هي أساس الديمقراطية، وأن التسيد الأوربي على التعليل البشري المستمد من عصر الأنوار يمثل تراجعاً للقيم المستندة إلى الدين لا تقدماً"[٤].

وهكذا يقدم شتراوس تحليله المؤسسي يظهر فيه الديمقراطية الليبرالية بأقبح الصفات, يعتبرها مظهر سياسي للإنسانية الشيطانية, التي تحيي المشروع الحديث المتغطرس الذي يحاول السيطرة على الطبيعة والتحكم فيها بما فيها الطبيعة البشرية, كما وتتصف الديمقراطية الليبرالية بسمات عدة, مثل مستوى الثقافة الجماهيرية, وحكم الاغلبية غير المتعلمة, والايمان بحرية الافراد في العيش وفقاً لعواطفهم الخاصة[٥].

ويرفض شتراوس الديمقراطية الليبرالية ويشير إلى أنَّ سبب رفضه لها ليس لأنها أخفقت في حل المسألة اليهودية، وإنما يرفضها لأنها تقود إلى تحطيم الجماعة بما في ذلك الجماعة اليهودية، فهو يرى: "أن ذلك يؤدي وبوسائل سلمية إلى ما سعت إلى تحقيقه النازية بواسطة مصانع الموت"[٦].

يعتبر شتراوس نخبوي وناقد للديمقراطية, ويرى أن الخداع الدائم للمواطنين من قبل أولئك الموجودين في السلطة أمراً بالغ الاهمية لأنهم بحاجة الى قيادتهم، وهم بحاجة إلى حكام أقوياء لإخبارهم بما هو جيد لهم, كما يجادل البعض بأن شتراوس كان مضاداً للديموقراطية بالمعنى الأساسي[٧].

بعد هذه المقدمة الموجزة عن حياة (شتراوس) يُمكن الانتقال إلى دراسة موقفه من الديمقراطية الليبرالية، إذا كانت لشتراوس رؤىً متباينة بين الرفض والقبول من الديمقراطية؛ ولكن لماذا ظهر (شتراوس) مؤيداً للديمقراطية تارة؛ ومعارضاً لها تارةً أخرى؟. عاش شتراوس شبابه تحت ظل (جمهورية فايمار)(*) التي اتصفت بنزعة ديمقراطية ناشئة، كما شَهِدت هذه المرحلة من حياته اعتلاء النازية سدة الحكم بعد انهيار هذه الجمهورية عام ١٩٣٣ على يد (هتلر)، ولم يكن تسلم الحزب النازي وهتلر للسلطة عبر آليات الثورة المسلحة، إنما جاء بواسطة الانتخابات، التي تُعد أحدى أدوات الديمقراطية. هذه الظروف السياسية كان لها أثرٌ واضح في موقف (شترواس) من الديمقراطية؛ إلا أن طبيعة أفكاره اعتراها شيء من الغموض فيما يخص الديمقراطية، هذه الضبابية لم يكن يشعر بها القارئ وحسب، إنما انسحب على من دَرَس المنظومة الفكرية عند (شتراوس)؛ فقد تنازع دارسو شتراوس واختلفوا في قراءة كتاباته حول الديمقراطية؛ وانتقى كل كاتب من هؤلاء نصوصاً تدعم توجهاته الأيديولوجية سواءً في إظهار شتراوس محباً للديمقراطية أو مبغضاً لها[٨].

أن مسألة موقف شتراوس السلبي من الديمقراطية الليبرالية أثارت جدلاً على نطاق واسع من بين عدد من الباحثين, حيث يرى بعظهم بأن شتراوس يعد عدواً للديمقراطية ومبغضاً لها والبعض الاخر يرى بأنه غير ذلك, وأن شتراوس من مؤيدي الديمقراطية الليبرالية, فعلى سبيل المثال عدته (شادية دروري) بأنه عدواً لدود للديمقراطية, في حين دافعت عنه أبنته (جيني) خصوصاً بعد ان تعالت الاتهامات له بعد أحتلال العراق من قبل الولايات المتحدة الامريكية سنة ٢٠٠٣م, حيث قالت (لم يكن أبي ألبته منتقداً للديمقراطية الليبرالية, بل كان مدافعاً عنها, وامن بأنها نظام الحكم الامثل, الذي يمكن ان يتصوره أحد), في حين يزعم كل من (كاثرين وميشيل زوكرت) في معرض دفاعهم عن موقف شتراوس الفكري المؤيد للديمقراطية الليبرالية بشكل عام والامريكية على وجه الخصوص , بأن دفاع شتراوس عن النظام الليبرالي الديمقراطي, لم يمنعه من القول بأن هذا النظام (هش وضعيف).[٩] وهذا يعني أن شتراوس على الرغم من تأييده للديمقراطية الليبرالية الا انه يرى في هذا النظام بعض جوانب الضعف والتي تتطلب المعالجات التي من شأنها تقوية هذا النظام بما يخدم الهدف المقصود.

عند نقد شتراوس للديمقراطية الليبرالية معتبراً أياها من مخلفات الحداثة*, يرى بأن الحداثة السياسية أخفقت في التمييز بين الحكم الاستبدادي والحكم الديمقراطي, وادى هذا الاخفاق بالحداثة الى التأسيس للطغيان وليس للديمقراطية, فعلى سبيل المثال, ان (ميكافيلي) قد فشل في كتابه الامير في التمييز بين الامير والطاغية, غير مهتماً أو متجاهل للصالح العام, او مكانة الضمير, والعوامل الاخلاقية, كما ودعا (هوبز) هو الاخر الى الاستبداد السياسي, أنطلاقاً من أيمانه بطبيعة الانسان الشريرة والانانية, مما دفعه هذا الى التنظير لنظام للحكم يقوم على الحد من سلطة الافراد, وحثهم على التنازل عن جزء كبير من حريتهم للحاكم المتمتع بالسلطة المطلقة, على ان يوفر لهم هذا الحاكم الحماية والامن والاستقرار.[١٠] ويقول شتراوس في هذا الصدد معلقاً ان نظرية الديمقراطية الليبرالية ، وكذلك نظرية الشيوعية نشأت ، في الموجتين الأولى والثانية من الحداثة. وثبت أن فيما بعد ان الموجة الثالثة كانت تضم الفاشية. ومع ذلك ، فإن هذه الحقيقة التي لا يمكن إنكارها لا تسمح لنا بالعودة إلى الأشكال السابقة للفكر الحديث: ولا يمكن رفض أو نسيان نقد العقلانية الحديثة أو الإيمان الحديث بالعقل من قبل نيتشه. وهذا هو السبب الأعمق لأزمة الديمقراطية الليبرالية. ولا تؤدي الأزمة النظرية بالضرورة إلى أزمة عملية ، لأن تفوق الديمقراطية الليبرالية على الشيوعية ، الستالينية أو ما بعد الستالينية ، واضح بما فيه الكفاية. وفوق كل شيء ، فإن الديمقراطية الليبرالية ، على عكس الشيوعية والفاشية ، تستمد دعمًا قويًا من طريقة تفكير لا يمكن تسميتها حديثة على الإطلاق: (الفكر القديم لتقاليدنا الغربية)[١١].

وعلى الرغم من أعجاب شتراوس بالديمقراطية وعلى وجه الخصوص المطبقة في الولايات المتحدة, والتي جعلته معجباً بها كونها تمثل نوع من الارستقراطية المقنعة ويقصد بها (النخبة) الصغيرة التي تحكم بأسم الشعب وليست ديمقراطية شعبية, كما أنها توفر للفيلسوف ان يقود طريقه للتمييز بسبب فسحة الحرية المتضمنة فيها, كما ويفضلها عند مقارنتها بالأنظمة المنافسة لها مثل الشيوعية التي تخلوا من اي هامش للحرية والتسامح قياساً بالأنظمة الديمقراطية, الا ان ذلك لا يمنع شتراوس من توجيه عدة أنتقادات للديمقراطية نابع من توجهه النخبوي المحافظ كما ان هذه الانتقادات أو الموقف السلبي أتجاه الديمقراطية يرجعها العديد من الباحثين الى عدة أسباب صادفت شتراوس خلال مسيرته في شبابه وهذه الاسباب هي:[١٢]

١- تتمثل بإشكالية العلاقة بين الديمقراطية والديانة اليهودية وعدم قدرتها على تغيير النظرة النمطية للمجتمع اتجاه اليهود.

٢- تعود إلى أن الديمقراطية قد تنقلب إلى نظام طغيان، وقد لِمس (شتراوس) هذه الحقيقة بعد أن كسبت النازية في الانتخابات وأفضت إلى تسلم (هتلر) للسلطة.

٣- تتعلق بطبيعة بعض المرتكزات النظرية والعملية للديمقراطية كنظام سياسي، لا تتجسد فيه فكرة النظام الأفضل والأمثل بحسب فلسفة (شتراوس) المتأثرة أصلاً بالفلسفة الكلاسيكية وخصوصاً فلسفة أفلاطون وفكرة التفوق.

ولم يتوفق عند هذا الحد, كما وعارض شتراوس إقامة نظام ودولة متجانسة عالمية ونفى عنها صفة العدالة، لأنه وجد بأنها وحدها "المجتمعات المدنية المغلقة الصغيرة، تتفق مع العدالة، لأنها تنسجم بالضرورة مع الطبيعة, وعارض أيضاً النظام السياسي الشيوعي، لأنه كان يمقت المبدأ المركزي الذي تتمحور حوله العقلية الشيوعية والمساواة, ويعده مبدأ ينافي القانون الطبيعي، ولذا فقد حاول أن ينصح الغرب لعمق الأزمة التي تواجهه ابان حقبة الحرب الباردة مبيناً أن الحركة الشيوعية قدمت درسين على الغرب أن ينتبه إليهما:[١٣]

الدرس الأول: درس سياسي عن ما يجب توقعه وما يجب القيام به في المستقبل المنظور.

الدرس الثاني: درس عن المبادئ السياسية التي يجب أن يتبعها الغرب مستقبلاً.

وإذا كان ذلك ما راه (شتراوس) من سلبيات مشروع إقامة الدولة العالمية، فإن ذلك لا يجعله يرفض العولمة بشكل صريح فقد آمن بالأنموذج السياسي القائم على أحقية حكم الفلاسفة والمعرفة ولو بشكل غير مباشر، ورأى فيه الانموذج الأخير الذي لا بد منه للبناء سياسياً ودستورياً، بل ولابد من تغيير أنظمة الحكم التي لا تتفق معها، "لأن أكبر تهديد ممكن ان يأتي فهو من الدول التي لا تشارك قيم الليبرالية الديمقراطية"، لذلك لم يتردد في القول إنه "إذا ما أريد أن تنعم الديمقراطية الغربية بأمان، فأنه لابد من جعل العالم كله ديمقراطياً"، مما يؤكد ميله المحتوم نحو عولمة فكرة حكم النخبة المعرفية أو حكم السادة، وإذ رأى أن كلاً من الديمقراطية الليبرالية والنظام العالمي من تطبيقات الحداثة السياسية التي لن تحقق للغرب طموحه، بل عرقلت توجهه نحو بناء الحضارة الغربية، فقد قدم حلاً لتلك الأزمة التي أسماها (أزمة الحداثة أو أزمة الغرب)[١٤].

المحور الثاني: نقد اليات ومرتكزات الديمقراطية عند ليو شتراوس

أولا- نقد آليات الديمقراطية عند ليو شتراوس

أ- الأنتخاب: يرى شتراوس ان الديمقراطية بالياتها، أعانت الطغيان على النمو، ويستطرد شتراوس في موقفه ذلك ليبين, بأن السلطة المستمدة من الانتخابات ليست أكثر شرعية من الحكم الاستبدادي وان كانت مستمدة من قاعدة القوة والاحتيال، بل أنَّ حكم الطاغية أكثر شرعية من الحكم الدستوري، فلطالما يستشير الطاغية معاونيه ويستمع إليهم دلالة على أنه يفكر جيداً، وبالتالي فإنه حتى وإن ارتكب جرائم واحتال للظفر بالسلطة، فأنه أفضل من حاكم تقلد منصبه دستورياً، لكنه يرفض الاستماع لأحد"، ويتضح جلياً هنا مدى أهمية وجود مجلس للحكماء يعاون الحاكم على إدارة شؤون الدولة وهو أنموذج شتراوس البديل للحكم . وآمن شتراوس بأفضلية حكم الطاغية

على الحكم الديمقراطي الليبرالي، لكنه جعل ذلك مشروطاً بوجود مجلس حكماء يعاون الطاغية، علماً أنَّ فرضية وجود الطاغية الخير حسب رأيه هي يوتوبيا[١٥].

وهكذا يمكن القول عند التطرق لموقف شتراوس من النظام الانتخابي نراه يطرح آلية مغايرة له من اليات النظام النخبوي ويرفض آلية الانتخاب كآلية ديموقراطية كونها ساهمت في ما مضى بصعود دكتاتور للسلطة مثل هتلر وغيره.

ب– المشاركة السياسية: أما فيما يخص المشاركة السياسية, فيمكن القول ان الديمقراطية، وخصوصا في جانبها المتعلق بالمشاركة السياسية، تحيلنا إلى النقاش الذي قاده سقراط وأفلاطون وانتقادهما لإعطاء حقوق المشاركة السياسية لجميع المواطنين، فكما أن أفلاطون طالب بنخبة سياسية تتفرغ لشؤون السياسية منتقدا (حكم الغوغاء), أي حكم الأغلبية، فإن أنصار ديمقراطية النخبة اليوم والتطبيق الفعلي للديمقراطية في المجتمعات الغربية يعطيان مؤشرات على انحسار دور الجماهير في المشاركة في الحياة السياسية لصالح نخبة أو قيادة يسند إليها الامر، وهذا التراجع قد يكون لعدم القدرة والكفاية لدى الأفراد العاديين، لممارسة الحكم، أو لاستنكافهم عن ذلك، أو لثقتهم بمن يتولى السلطة.[١٦] وهذا هو رأي ليو شتراوس.

ثانيا– نقد مرتكزات الديمقراطية عند ليو شتراوس

أ– المساواة: فيما يخص **المساواة** كأحد مرتكزات الديمقراطية فيبدأ شتراوس نقده للديمقراطية الليبرالية مستنداً الى ما قاله أفلاطون عن الديمقراطية والتي تقوم على المساواة, حيث يرى شتراوس المساواة بأنها تفضي بالمستقبل الى كارثة, والمتمثلة بحكم الطاغية المطلق, لان الجماهير ستعيش حالة الفوضى العارمة, مما يفضي بدوره الى ظهور من يدعي نفسه حامي الشعب وانه من يستطيع الحفاظ على الاستقرار وينهي حالة الفوضى القائمة, ويستولي على السلطة ويؤسس عندها حكمه الاوتوقراطي الطاغي المطلق.[١٧] ويرى شتراوس بأن الديمقراطية الليبرالية على الرغم من أنها أوجدت مساواة قانونية الا أنها فشلت في تحقيق مساواة أجتماعية حقيقية, مما ساعد ذلك بدوره في السماح للغوغاء بالتسلق الى السلطة, مستغلين ما قدمته الديمقراطية الليبرالية من تسهيلات في الحصول على المعرفة والقيم بواسطة أسهل الطرق, وبدون بذل أي جهد سواء كان أخلاقي أو روحي أو مادي. كما ويرى شتراوس بأن الديمقراطية والمساواة لا يمكن ان تكون أهدافاً بقدر ما هي تنازلات محضة للضعف والعاطفة, تستغلها التيارات الساعية للهيمنة, كون ان الديمقراطية الليبرالية تتمسك بالمساواة وبإلغائها للفروق الطبيعية وعدم الاعتراف بالتفوق البشري وتسعى الى ألغاء التمييز بين السيئ والجيد[١٨].

ويرى كذلك شتراوس بأن قضية المساواة تمثل خطر داخلي يهدد الديمقراطية الليبرالية كون ان ذلك يعتبر بمثابة هدم الى أهم مبدأ دافع عنه رواد الليبرالية الاوائل, ويتمثل في الايمان بالتفوق البشري والتمييز الطبيعي بين البشر, والذي يؤتاه البعض دون البعض الاخر, ويرى بأن أنكار وجود معايير مطلقة للسمو البشري أنما يعني الغاء الفروق بين ما هو خسيس وما هو نبيل وبين ما هو منحط وما هو رفيع وباختصار بين ما هو غير أنساني وما هو أنساني. كما ويرجع شتراوس سبب أنتشار المناداة بقضية المساواة الى أنتشار تعاليم الوضعيين ودعواهم الى أحلال قضية النسبية بدل الاطلاقية [١٩].

وكذلك ان النقد "الشتراوسي" للديمقراطية قد ركّز انتباهه على المخاطر الداخلية للديمقراطية، والتي تعبّر عنها المناداة بالمساواة السياسية، الأمر الذي يهدم عقيدة الإيمان بالتفوق البشري والتمايز الطبيعي. فالتوجه الفكري لليو شتراوس يؤمن بضرورة التمايزات بين أفراد المجتمع، فالأشخاص المتفوقين لا يمكن مساواتهم سياسياً بالأشخاص العاديين، وإعطاء لكل منهم ثقل سياسي متساوٍ[٢٠].

يرى شتراوس إن مطلب العدالة يجب أن يكون هناك تطابق معقول بين التسلسل الهرمي الاجتماعي والتسلسل الهرمي الطبيعي. تم الدفاع عن عدم وجود مثل هذه المراسلات في المخطط القديم من خلال حقيقة الندرة الأساسية. مع الوفرة المتزايدة ، أصبح من الممكن بشكل متزايد الرؤية والاعتراف بعنصر النفاق الذي دخل في المفهوم التقليدي للأرستقراطية, أثبتت الأرستقراطيات القائمة أنها أوليغارشية وليست أرستقراطية. بعبارة أخرى ، أصبح من السهل بشكل متزايد الجدال من فرضية أن عدم المساواة الطبيعية ليس لها علاقة كبيرة بعدم المساواة الاجتماعية، وأنه من الناحية العملية أو السياسية قد يفترض المرء بأمان أن جميع الرجال متساوون بطبيعتهم، وأن جميع الرجال لديهم نفس الحقوق الطبيعية، بشرط أن يستخدم المرء هذه القاعدة الأساسية كمقدمة رئيسية للوصول إلى استنتاج مفاده أنه يجب منح كل فرد نفس الفرصة مثل أي شخص آخر, أي ان عدم المساواة الطبيعية لها مكانها الصحيح في استخدام أو عدم استخدام أو إساءة استخدام الفرصة في السباق على النحو المميز من البداية. وهكذا أصبح من الممكن إلغاء العديد من المظالم أو على الأقل العديد من الأشياء التي أصبحت ظلمًا.[٢١] وتأتي عدم المساواة نتيجة الإيمان بالله الذي خلق الناس أصنافاً متنوعة منها من يحكم ومنها من يطيع، وعلى الجميع احترام الإرادة الالهية والتسلسل الطبيعي للبشر[٢٢].

ب- الحرية: أما فيما يخص الحرية فقد دافع عنها شتراوس بسبب توفيرها أرضية ملائمة للفلسفة, ففي مقاله "جمهورية أفلاطون" يرى أن سقراط يعتقد أن الديمقراطية هي، في كثير من النواحي، النظام الأفضل الذي يفضي إلى الفلسفة. فالديمقراطية تتسم بالحرية التي تشمل الحق في أن أقول وأفعل كل ما يروق لي, ويمكن لأي شخص أن يتبع أسلوب الحياة الذي يرتضيه أكثر من أي نظام آخر... لذا يجب علينا أن نفهم، أن الديمقراطية هي النظام الوحيد بخلاف "النظام الأفضل" الذي يمكّن الفيلسوف أن يقود طريقه المتميز للحياة دون الشعور بالاضطراب. [٢٣] بعبارة أخرى بما أن الديمقراطية، القديمة والحديثة على حد سواء ، تقدر حرية العيش كما يشاء المرء، فهي تتسامح مع الفلسفة، في حين أن الأنظمة الشيوعية لا تفعل ذلك. ويبدو من ذلك أن المدى الذي يعكس فيه عمل شتراوس اهتمامه بالأزمة المعاصرة لأزمة الفلسفة التي، في رأيه، هي في صميم الأزمة النظرية لليبرالية الحديثة، وأنها تدعم الاعتقاد بأن أهتماماته السياسية تنبع من اهتمامه بمستقبل الفلسفة.[٢٤] فما يشغل شتراوس ليس الديمقراطية بوصفها نظاماً سياسي يوفر الحرية والمساواة للجميع؛ بقدر التأكيد على قدرتها على حماية الفلسفة، ومنحها الفضاء الواسع للتعبير عن قناعاتها بكل يُسرٍ وبلا إجحاف. وهذا نابع أساساً وحسب رأي الباحث من الازمة التي تعرض لها شتراوس بصفته فيلسوفاً أثنا صعود النازية الى سدة الحكم وما خلفته من تشرد وأضطهاد لشخصه نابع من معاداة النازية للسامية والديانة اليهودية التي ينتمي أليها شتراوس.

ج- التسامح: أما عن التسامح فيجادل شتراوس بأن فكرة الديمقراطية الليبرالية تخفي بداخلها احتمالات التعصب, وتؤدي الى التنازل عن أساس الدفاع عن مبادئها الخاصة, خصوصاً عندما تصبح الديمقراطية نسبية, فعندها تؤدي الى التخلي عن جميع معاييرها, وخير مثال على ذلك ما خلفته جمهورية فايمار الديمقراطية من نظام قائم على الكراهية, القاتل لليهود والمضطهد للبشرية, والمكرس لتدمير كافة الحقوق العامة والحريات الخاصة, وهكذا فأن التسامح المطلق غير ممكن[٢٥].

ونتيجة لذلك فقد دافع أنصار شتراوس عن نزوع (شتراوس) الديمقراطي وحاولوا أن يقوموا بعملية تحليل لنصوص شتراوس تؤكد نزعته الديمقراطية. إذا يقول أحدهم: "يعتقد شتراوس بأنه من الضروري أن يتم المزج بين التسامح واحترام الحرية الشخصية التي هي السمة المميزة لليبرالية مع التقاليد القديمة الأخرى. واعترف بأن نزعة التسامح الديمقراطي ينبغي أن تتحول أولاً إلى الاعتقاد المتساهل بأن جميع وجهات النظر على قدم المساواة."[٢٦] لذا فإنه يرى إن الديمقراطية تمثل الفضيلة وبالتالي أي فكر رافض لها يعدّ رفضاً للديمقراطية –مثل الفكر الشيوعي– وعلى ضوء ذلك تقسم الأنظمة إلى قسمين جيدة وسيئة، وهذا ما تولّد عنه مصطلح (محور الشر)[*] المناهض للتوجه الديمقراطي في مقابل –محور الخير– الذي يمثله الفكر الغربي الديمقراطي[٢٧].

كما أعجب شتراوس بصفة خاصة, بالتسامح, واحترام الحرية الشخصية اللذان هما الطابعان المميزان لليبرالية, ليس فقط لأنهما يقدمان مأوى لفلسفة مضطهدة, بل كونهما يسمحان بظهور نزاع سياسي نشط يمكن ان يجاوز أحياناً الاحداث الجارية, وصنوف الجدال, وفي ذلك يرى شتراوس مجالاً من الليبرالية النوع القديم داخل الليبرالية الحديثة, التي تمكن العقل من دراسة ومناقشة الرؤى البديلة للتفوق الانساني[٢٨].

ففكرتا التسامح والحرية التي تتصف بهما الديمقراطية راقت لشتراوس، بسبب الفسحة الحقيقية والهامش المعقول الذي توفره الديمقراطية للفلاسفة، لأنها تسهم في حمايتهم من الاضطهاد الذي يتسبب به –بالعادة– النظام ذو النزعة "الطغيانية"[٢٩].

المحور الثالث: الديمقراطية النخبوية عند ليو شتراوس

قبل الخوض في مفهوم الديمقراطية النخبوية عند شتراوس لابد من شرح نقطة أساسية وجوهرية لديه في هذا الموضوع. فبعد ان يؤكد شتراوس على موضوع الثقافة وأهميتها, يطرح شتراوس مسألة مهمة وهي مسألة (التعليم الليبرالي) حيث يرى بأن التعليم الليبرالي هو تعليم ثقافي من طراز معين، فهو نوع معين من التعليم بالأحرف أو من خلال الأحرف. ولم يعد هناك الحاجة إلى تقديم حجة بصدد محو الأمية، فكل ناخب يعرف أن الديمقراطية الحديثة تقف أو تسقط بمحو الأمية. وحتى يتسنى لنا فهم هذه الحاجة، فيجب علينا التفكير في الديمقراطية الحديثة. ما هي الديمقراطية الحديثة? لقد قيل ذات مرة أن الديمقراطية هي النظام الذي يقف أو يسقط بحكم الفضيلة: الديمقراطية هي نظام يكون فيه جميع البالغين أو معظمهم من رجال الفضيلة, وبما أن الفضيلة تبدو وكأنها تتطلب الحكمة, وهي ذلك النظام الذي يكون فيه جميع البالغين أو معظمهم يتميزون بالفضيلة والحكمة، أو المجتمع الذي طور فيه جميع البالغين أو معظمهم عقلهم إلى درجة عالية, فالديمقراطية، باختصار، من

المفترض أن تكون نهج ارستقراطي توسع إلى أن أصبح نهجا أرستقراطيا عالميا. فقبل ظهور الديمقراطية الحديثة، كان هناك بعض الشكوك حول ما إذا كانت الديمقراطية على هذا النحو من الممكن فهمها أم لا[٣٠].

أذن فبعد ان يعرض شتراوس نقده للديمقراطية الليبرالية ويعلن تفضله للنخبوية او حكم الفلاسفة, فهو لم يكن يقصد من ذلك ان يصبح الفلاسفة هم الحكام, وإنما الحل حسب رأيه يكمن أساساً في التعليم الليبرالي, والذي يرى بأنه يعمل على أعادة أيقاظ العناصر المحافظة في الديمقراطية الليبرالية, ومثل هذا التعليم من شأنه ان يساعد الى حد ما على تأسيس أرستقراطية داخل المجتمع الديمقراطي الجماهيري ويجب ان تتحدث الحكمة جزئياً بلغة السياسة لأنها ليست معزولة عن المدينة, علماً ان الذين يمتلكون الحكمة ويعلمونها, لا ينبغي ان يكونوا جزءاً من تلك الارستقراطية, وفقط من خلال وسيلة نشر التعليم الليبرالي يستطيع المثقف ان يسمع في (السوق) والاماكن العامة, وبالتالي فأن المثقف يبحث عن الضوء ويتجنب الاضواء الغريبة, وفي هذا الصدد يشير شتراوس الى عدة أخفاقات حدثت في فترة الحداثة, والمتمثلة في كل من (ماركس أبو الشيوعية, ونيتشة والد الفاشية) وما خلفته تعاليمهم من حروب قادة الى تدمير البشرية, حيث يربط هؤلاء حكمتهم وتعاليمهم بما يسمى (الاعتدال) والتي تعني عملياً الولاء لدستور لائق او قضية دستورية (الديمقراطية الليبرالية), والتي تمثل حسب شتراوس أزماتها أزمة عصرنا, والتي شرحها شتراوس في مقال له حمل نفس العنوان (أزمة عصرنا)[٣١].

وفي نفس السياق يوضح شتراوس أهمية التعليم الليبرالي وسبب نقده للديمقراطية, مستشهداً بما قاله أرسطو من قبل عن الديمقراطية, حيث عرف أرسطو الديمقراطية بأنها تعني (حكم الاغلبية) ويلاحظ أرسطو بأن في كل مجتمع دائماً هناك مجموعتين (الاغنياء والفقراء) وبما ان الفقراء هم دائماً يشكلون الاغلبية فأنهم مكرسين أغلب أوقاتهم للبحث عن كسب رزقهم, وبالتالي ليس لديهم وقت فراغ لأكتساب التعليم للحكم الجيد. والسبب الاخر لارسطو هو أفتراضه ان الناس بطبيعتهم غير متساوين, ويجادل شتراوس بأن هذا لا يمكن أنكاره وهذا الجانب معترف به في الديمقراطية الحديثة وفكرتها عن (تكافؤ الفرص) والتي تعني (ان الناس يجب ان يتابعوا ما هو الانسب لهم)[٣٢].

فالديمقراطية الحديثة والبعيدة كل البعد عن ان تكون أرستقراطية عالمية، لكانت حكما جماهيريا لولا الحقيقة التي تفيد بان الجماهير غير قادرة على الحكم، وان من يحكمها هم النخب، والنخب هم مجموعة من الرجال الصفوة الموجودين في القمة لأي سبباً من الأسباب او من هم لديهم فرصاً عادلة للوصول إلى القمة. ومن ثم، فيُقال ان من أهم الفضائل التي يقتضيها العمل في الديمقراطية فيما يتعلق بالجمهور هي اللامبالاة الانتخابية والافتقار إلى الروح العامة، فهؤلاء المواطنون لا يقرأون شيئا سوى الصفحة الرياضية والقسم الهزلي. ومن هنا، يسعنا القول بان الديمقراطية ليست في الواقع حكما جماهيريا، بل إنها ثقافة جماهيرية[٣٣].

وبالتالي فإننا نفهم وبسهولة ما يعنيه التعليم الليبرالي. فالتعليم الليبرالي هو السم المضاد للثقافة الجماهيرية، وللآثار المتآكلة للثقافة الجماهيرية، وميلها المتأصل إلى عدم إنتاج أي شيء سوى «المتخصصين بدون روح أو رؤية وحزم بلا قلب». والتعليم الليبرالي هو السلم الذي نحاول من خلاله الصعود من الديمقراطية الجماهيرية إلى الديمقراطية كما كان مقصودًا بها في الأصل. وهكذا فأن التعليم الليبرالي هو المسعى الضروري لتأسيس طبقة

أرستقراطية داخل المجتمع الجماهيري الديمقراطي. ويذكر التعليم الليبرالي أعضاء الديمقراطية الجماهيرية الذين لديهم آذان لسماعها، على إنهم يمثلون "العظمة البشرية"[٣٤].

وهكذا فأن التعليم الليبرالي هو الذي يتمثل في الالتقاء المستمر مع أعظم العقول، هو تدريب في أعلى شكل من أشكال التواضع ، وفضلاً عن التواضع. إنه في الوقت نفسه تدريب على الجرأة: إنه يتطلب منا الانقطاع التام عن الضوضاء والاندفاع وعدم التفكير وترخيص أو التقليل من صفة الغرور للمثقفين وكذلك بالنسبة لأعدائهم. وإنه يتطلب منا الجرأة التي ينطوي عليها التصميم على اعتبار الآراء المقبولة مجرد آراء، أو اعتبار الآراء المتوسطة آراء متطرفة, من المرجح على الأقل أن تكون خاطئة مثل الآراء الأكثر غرابة أو الأقل شعبية. فالتعليم الليبرالي هو التحرر من الابتذال. حيث كان لليونانيين كلمة جميلة تعني «الابتذال» ؛ أطلقوا عليه اسم apeirokalia، وتعني قلة الخبرة في الأشياء الجميلة. فمن هنا يمكن القول بأن التعليم الليبرالي يمدنا بالخبرة في الأشياء الجميلة[٣٥].

كما ويرى البعض إن خطورة فلسفة ليو شتراوس أنها تنزع نحو ما يشبه (الإيزوتيرية القصدية), ولتوضيح ذلك يمكن القول أن المعرفة دوماً هي من شأن الفرد وتحديداً القلة (بالمعنى النخبوي للكلمة) فالضالعون في المعرفة هم من الدائرة الداخلية لها, و(الإيزوتيرية) او Esoteros تعني باليونانية الداخل (بخلاف من هم خارجها في الدائرة الخارجية Exoteros= باليونانية الخارج اذ ان هاتين الدائرتين تشترط إحداهما الأخرى بشكل متبادل، وكل منهما تدين بوجودها للقطب الآخر. وفي مجال بحثنا هذا فإنه إذا كانت الإيزوتيرية تعد أن مجموعات الاختصاص تشكل طبقة مغلقة غير قصدية؛ أي إنَّها حدثت بموجب الاختصاص إ ذ عالم العلم اليوم هو عالم اختصاصي، فإن المرء لا يستطيع أن يكون ملماً إلا باختصاصه، ما يستدعي الإيزيتورية غير القصدية. وإن في إيزيتورية فلسفة شتراوس مخاطرعديدة منها انها[٣٦]:

١- تتجاوز الاختصاص إلى القصدية الباطنية.

٢- أنها تجاوز الاختصاص إلى احتقار الساسة والجمهور.

٣- أنها تدعي أن فئة مغلقة وهي (فئة الفلاسفة) تحتكر الحقيقة.

٤- أنها تؤسس لنوع يتجاوز أرستقراطية المعرفة إلى إقامة نظام معرفي سياسي ميثولوجي يتسم بنوع من الاوليغارشية او حكم القلة.

إن النقطة الأخيرة– بتقديرنا –مهمة جداً، إذ إنَّها مستقاة لدى ليو شتراوس من أفلاطون تأسيساً على نظريته في تطور أشكال الحكومات التي وردت في الكتاب الثامن من محاورة الجمهورية؛ فأفضل أنظمة الحكم لديه يتمثل في الدولة المثالية التي يحكمها الفلاسفة والتي سرعان ما تتدهور وتنتقل إلى نظام تيموقراطي يتقاسم الحكم فيه الاشراف من أصحاب الاملاك والعسكر, ويليه نظام تيموقراطي بلوقراطي وهو نظام تكون فيه الطبقة الحاكمة متخمة الثراء, والذي ينخفض فيه مستوى الحراك الاجتماعي– السياسي ويبدو التفاوت الاقتصادي كبيراً جداً, ثم يصل بها التدهور إلى مستوى ديمقراطية الغوغاء وهو الأمر الذي يفسح المجال في نهاية المطاف لكي يقفز الطغاة الجهلاء إلى مقاعد السلطة فيقوم نظام الطغيان وهوالذي يمثل ذروة التدهور في تعاقب أنظمة الحكم. إن نظرية أفلاطون في الحكم على أساس نخبوي التي يعتمدها ليو شترواس أساساً لنظريته التي يتولى فيها مقاليد

الحكم طبقة من الصفوة المقفلة على نفسها والتي تمسك في يدها بأسباب ألقه كّلها دون أن يشاركها في ذلك أحد من عامة الناس[٣٧].

لاحظ شتراوس أن الإنسان لا يتردد في خرق القوانين الوضعية بين الفينة والأخرى، وهو ما دعاه إلى استنتاج محدودية هذه القوانين، ومن ثم الحكم على الفلسفة السياسية بالفشل. إذ لا معنى عنده لهذا التمرد غير خيبة أمل الإنسان في تحقيق آماله وراحته الجسدية والنفسية، والتطلع إلى نظام أمثل وأكمل تُشبَع فيه هذه الرغبات والميول. لا سبيل إذن بمسألة السيادة ولا قيمة لنظام أي كان شكله لا يحقق سعادة الفرد. وهكذا تتساوى الديمقراطية والديكتاتورية، المَلكية الدستورية والملكية المطلقة...، إذا فشلت هذه في تحقيق ذلك المطلب الشريف: سعادة الإنسان، وصون كرامته، وذلك بلزوم الحق والعدل الذي لا يأتي إلا بلزوم الفضيلة ومكارم الأخلاق. لا عبرة بنظام يكرس شقاء الإنسان وضياعه، طالما أن حكمه هذا وسيادته تلك يؤولان به في نهاية المطاف إلى عبودية مطلقة، تُقدَّس فيها الأهواء والشهوات[٣٨].

يرى بعض الباحثين ان أصرار شتراوس على تقييم الخير والشر, والاسمى والادنى, كان نابعاً من مناهضته للديمقراطية وعلى وجه الخصوص الديمقراطية الليبرالية, وتفضيله في المقابل لحكم القلة النخبوية[٣٩].

كان نظام جمهورية فايمار كما ذكرنا انفاً الذي أوصل هتلر الى سدة الحكم أثر على تفكير شتراوس وأستحوذ على ارائه, وهذا ما جعله يتهم الديمقراطية الليبرالية هي التي أوصلت هتلر الى السلطة, وكان يعتقد ان الديمقراطية الليبرالية هي أخطر أنواع أنظمة الحكم, وكان يضعها على قدم المساواة مع أضطهاد اليهود في كارثة (الهولوكوست), وأضطهاد أثينا لسقراط, وكل ذلك جعله يفزع مما يمكن للغالبية من عموم الناس, الرعاع والاسفل درجة, ان تعيد ذلك الاضطهاد عندما تمتلك السلطة في الفئة القلية الاعلى مرتبة. ويرى شتراوس ومن خلال تجربته الشخصية* ان الديمقراطية الليبرالية تشكل خطراً كبيراً وأنها أخطر أنواع أنظمة الحكم على الاطلاق, وحتى دفع ذلك به ان يعقد عزمه على منع تكرار ما حدث في ألمانيا من ان يحدث مرة أخرى في أوربا والولايات المتحدة, وأراد ان يخلص أمريكا من شغفها بالديمقراطية الليبرالية, وكان يرى ان بأمكانه تحقيق ذلك عن طريق تنشئة (نخبة) محافظة تتمكن في النهاية بالاطاحة بالعناصر الليبرالية في الديمقراطية الامريكية كونه شخص يعتقد بوجوب ان توجد في المجتمع نخبة تمتلك القدرة على السيطرة على الجمهور وتوجه عواطفهم ومشاعرهم[٤٠].

وإن النظام السياسي المثالي, الذي تبناه شتراوس، وسواء أكان حكم الفلاسفة أم انعكاسه المتمثل بحكم السادة النبلاء (النخبة) المسترشدون بأفكار الفلاسفة ونصائحهم، ويبدو لديه نظامًا ملائماً لكل ظرف، إذ قال عنه "إنَّ أفضل نظام هو ممكن وضروري أخلاقياً في كل وقت وزمان[٤١].

وهكذا يبقى شتراوس مشغولاً بدور النخبة أو حكم الفلاسفة كما يسميه, وان هذه النخبة متمرسة وتفهم ألاعيب السياسة وأنها أقدر على التسلط وأدارة الحكم, وهذه النخبة هم أقل الناس تقييداً بالتقاليد, وأقدرهم على اللجوء الى أستخدام كافة الاجراءات حتى وأن كانت إجراءات إجرامية وأرهابية, المهم هو ان تكون أساليب ناجحة في تحقيق الغاية المقصودة, وهكذا ينجذب الفلاسفة أو طبقة النخبة الى الاستبداد كما تقول شادية دروري, لانهم لا يكترثون لألاعيب الديمقراطية[٤٢].

يرى شتراوس بان الصوت السياسي النخبوي يكون صوتا وحيداً يتميز بالتفوق, ويتمتع بالنقد ففي الملكيات يشك في المغالات في التأكيد على جمع المال, وفي الحكومات الدينية فيشك في الطاعة الذليلة للتراث , وفي الحكم العسكري يشك في التشديد الاحمق على المروءة, اما في الديمقراطيات فيشك في الحماس المتعادل لمبدأ المساواة, والتأويل الفاسد للحرية[٤٣].

كما يؤمن شتراوس بان الحقيقة الاساسية حول المجتمع والتاريخ الانساني يجب ان تتبناها نخبة او صفوة, ويجب ان يبعدوها عن الاخرين, لأنهم لا يملكون القدرة على التعامل مع الحقيقة, ويؤمن شتراوس, بأن رجل الدولة الجيد يجب ان يعتمد على بطانة خاصة تميزه عن غيره[٤٤].

أي ان أفكار شتراوس الأساسية ركزت على التأكيد على دور النخبة إذ يؤمن شتراوس بأن الحقيقة الأساسية للمجتمع والتاريخ يجب أن تتبناها نخبة أو صفوة، لأن الآخرين لا يملكون القدرة على التعامل مع الحقيقة وأنَّ رجل الدولة يجب أن يعتمد على بطانة خاصة، واستعمال الدين للسيطرة على الجموع، وكذلك فرض الدين على الجماهير وإبعاده عن الحكم والخداع وإطلاق الأكاذيب (النبيلة) من أجل حماية الحقيقة فالخداع أساس الحياة السياسية برأيه[٤٥].

يرى (شتراوس): ان الغالبية العظمى من الناس سواء أكانوا رجالا أم نساء بعيدين كل البُعد عن كونهم يدركون الحقيقة، فهذا القدر يخص جنساً أخر غير الجنس البشري، وهم الرجال المتفوقون، فالفلاسفة بحسب اعتقاد(شتراوس) هم الذين يقدمون للمجتمع كل ما يحتاجه من معتقدات دينية وأخلاقية وغيرها، رغم انهم يعرفون: ان جميع المعتقدات أكاذيب' ويقسم (شتراوس) المجتمع إلى ثلاثة: أصناف (الحُكام) وهم القلة (الفلاسفة)، و(النبلاء) ثم (السواد الأعظم)، ويرى من المستحيل أن يتولى الحكم (الفلاسفة) بشكل مباشر، بل يمكن ان يتولوا السلطة بشكل غير مباشر مادام انها ضمنت تعاون صنف من الناس معهم، وهم النبلاء (الطبقة الحاكمة) مادام ان النبلاء وطنيون مخلصون: وهم يحبون الحرب، لأنها مصدر الشرف، ويخضعون لتأثيرات الفلاسفة، وهذا يعني: ان (شتراوس) كان يؤمن بالحكم من وراء الكواليس، وتسير الحاكم، وان الرجال الأقوياء يتم تسييرهم من خلف الكواليس، وأدرك (شتراوس): ان طرح هذه الفكرة قبالة الجمهور تثير العداء له، ولتفادي إستياء المجتمع، وليسهل الطريقة قبالة الفلاسفة، وللنفوذ إلى السلطة طرح فكرة وجود مجالس استشارية للحكام تتكون من (الفلاسفة)[٤٦].

ويرى شتراوس ان الفلاسفة بحاجة لأصناف مختلفة من البشر لخدمتهم، ومنهم " السادة"، وهو تعبير يستخدمه شتراوس في حديثه عن محاكمة سقراط، للدلالة على من يعملون في السياسة من غير الفلاسفة .وهؤلاء "السادة "الذين يصبحون ساسة ورجال دولة، يستمرون بتلقي النصح من الفلاسفة .وحكم الفلاسفة من خلال رجالهم الذين دخلوا في الحكم هو ما يسميه شتراوس " المملكة السرية" للفلاسفة, والمملكة السرية هي الهدف الذي يسعى كثيرون من تلامذة شتراوس الداخليين "لتحقيقه في حياتهم .فبدلاً من : تعليم داخلي يقتصر على فئة معينة "أو التعليم السري، يتلقى هؤلاء" السادة "تدريباً عقائدياً في التعليم" الخارجي للجمهور "أو التعليم العام . فمنهم من يدربون على الإيمان بالدين والأخلاق وحب الوطن والخدمات العامة، وبعضهم يدخلون في الحكومة[٤٧].

اعتقد (شتراوس): ان البعض قادر على القيادة، في حين الأخرون يجب ان ينقادوا، ولكن خلافاً للمفكر الأنكليزي (بلاتو) الذي اعتقد بانّة يجب أن يكون القادة أشخاصا ذا مقياس أخلاقي عالي حتى يستطيعوا مقاومة إغراءات السلطة، فـ(شتراوس) كان يعتقد: ان هؤلاء الذين يصلحون للقيادة هم الذين يعلمون: ان ليس هناك أخلاقيات، وانما هنالك فقط حق طبيعي واحد هو: حق القوي في ان يحكم الضعيف، إي ان الطبقة الحاكمة يجب ان تحافظ على السلطة، ولذلك يتطلب منها خداع مستمر من قِبَل الحكام، بحيث يتم إعلام المجتمع ما يجب ان يعملوا، وليس ما هو الحقيقة، وان مفهوم (الحقيقة) هو مسئولية النخبة الحاكمة[٤٨]. كما ويرى شتراوس: ان أكاذيب الفلاسفة الذين يرشدون الأمة أكاذيب نبيلة، وبالطبع فهم لا يفعلون ذلك حباً بالغير، بل يرى (شتراوس) على غرار (نيتشة) اللذين يستهزئان بالصدق وحب الخير للجميع، فيصفان هذه الأفعال بانها غير جديرة بالإلهة أو الرجال أشباه الالهة، وبان الفلاسفة يستخدمون الكذب لصنع المجتمع، وان الخداع وإطلاق الأكاذيب النبيلة هو من اجل حماية الحقيقة كما يرى (شتراوس)، فالخداع هو أساس الحياة السياسية[٤٩].

ختاماً نستطيع ان نتفق مع ما تقوله شادية دروري غالبًا ما يتم انتقاد شتراوس لكونه نخبويًا وغير ديمقراطي. على عكس الآخرين ، لا مانع من وجود شتراوس إما نخبوية أو مناهضة للديمقراطية. ولا أعتقد أن النخبوية لا تتوافق بالضرورة مع الديمقراطية. على العكس من ذلك ، فإنه قد يكون من الجيد وجود نخبة تمارس القيادة السليمة لتعزيز العملية الديمقراطية بدلاً من تقويضها. يقدم جون بلامنتز (John Plamenatz) مثالًا حيًا: 'تخيل ان مجتمعًا مكون من ١٠٠ الرجال والنساء, يحكمون أنفسهم بالتجمع بشكل دوري ويتم اتخاذ جميع القرارات والقوانين كهيئة سياسية واحدة: ديمقراطيتهم هي ديمقراطية مباشرة وليست تمثيلية. تصور أن ١٠ من هؤلاء الرجال والنساء عادة ما يقومون بالتحدث في الجمعية: ويحددون القضايا ويناقشون إيجابيات وسلبيات السياسات أو مسارات العمل المختلفة. و لا يمكن لاحد أن ينكر أن مثل هذا النقاش المستنير والذكي من ممكن ان يكون له تأثير في تسليط الضوء على المشكلات والسماح لباقي المجتمع من اتخاذ قرارات أكثر استنارة أو للتصويت أكثر ذكاء مما كان يمكن أن يكون عليه الحال. ويبدو من هذا المثال أنه لا يوجد شيء في الطبيعة لنخبة لا تتوافق بطبيعتها مع حكومة الديمقراطية. نخبوية شتراوس ليست بالضرورة مناهضة للديمقراطية. علاوة على ذلك ، يوضح شتراوس أنه ليس عدوًا للديمقراطية. كما يعتقد أنه (على الرغم من كل الأدلة والعكس صحيح) كان موقف أفلاطون المناهض للديمقراطية طاغياً عند شتراوس ، ويوفر المجتمع الديمقراطي نوعًا من الحرية التي هي ضرورية للسعي دون عائق للحياة الفلسفية ، وهو على يقين من أن أفلاطون قد أدرك ذلك[٥٠].

الخاتمة

أذن فأن النقد "الشتراوسي" للديمقراطية قد ركّز على المخاطر الداخلية للديمقراطية، والتي تعبر عنها المطالبة بالمساواة السياسية، الأمر الذي يهدم حسب شتراوس عقيدة الإيمان بالتفوق البشري والتمايز الطبيعي. فالتوجه الفكري لليو شتراوس يؤمن بضرورة التمايزات بين أفراد المجتمع، فالأشخاص المتفوقين لا يمكن مساواتهم سياسياً بالأشخاص العاديين، وإعطاء لكل منهم ثقل سياسي متساوٍ, وهذه هي رؤية الاتجاه النخبوي للحكم الجيد. وان الديمقراطية التي طرحها شتراوس بعد نقده للديمقراطية الليبرالية هي الديمقراطية النخبوي والتي تتجلى عنده من

خلال ما أطلق عليه "المملكة السرية للفلاسفة" وتتضح حسب رأيه في حكم السادة المتفوقين "الجنتلمان" وهؤلاء يسترشدون بنور الفلسفة. ففكرة شتراوس تقتضي وجود نخبة سياسية وسط الديمقراطية وتتلقى توجيهاتها من الفلاسفة. عن طريق التعليم الليبرالي والذي يمثل حسب شتراوس إعداد نخبة السادة "الجنتلمان" عبر ضرورة التفلسف وعن طريق الاستماع إلى التخاطب بين العقول العظيمة، ويعتبر شتراوس التعليم الليبرالي هو السم المضاد لآثار المفسدة الذي تسببه الثقافة الجماهيرية على الديمقراطية.

الهوامش

(*)- من خلال مسيرته الفكرية ومشروعه الفلسفي وبعد نقده للحداثة تأثر شتراوس بالعديد من مفكري فلسفة العصر الوسيط كان أبرزهم مفكري الفلسفة الاسلامية مثل الفارابي وأبن رشد, وفي الديانة اليهودية موسى أبن ميمون, وبالتدرج أصبح شتراوس على دراية بأن هؤلاء الفلاسفة قد مارسوا فناً من الكتابة أطلق عليه شتراوس (فن الكتابة الباطنية) أو فن الكتابة بين السطور, وهو فن كتابة أستطاعوا من خلاله أخفاء قصدهم أو غرضهم عن الجميع بأستثناء الخاصة أو فلاسفة المستقبل. للمزيد ينظر: أحمد فاروق, الفلسفة والشريعة ليو شتراوس ونقد الحداثة, دار رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة, ٢٠١٩م, ص٧٨ – ص٧٩.

[١] - محمد البدر, منظر المحافظين الجدد, وكالة أنباء براثا, على الموقع http://burathanews.com, , بتاريخ -2020-08 24.

[٢]- ستيفان هالير وجوناثان كلارك، التفرد الأمريكي: المحافظون الجدد والنظام العالمي، ترجمة: عمر الايوبي، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م، ص٤٣.

(*) - لقد سعى شتراوس لفهم جذور المأزق الذي يعانيه المشروع الغربي الحديث بتحليل تشكل المشروع الليبرالي عند هوبز وإسبينوزا واستكشاف البدائل الوسيطة والكلاسيكية الفارابي ابن ميمون أفلاطون، وزينوفون، وخلال هذا المسعى يتضح لنا أن نقده للحداثة السياسية كان مدخله لطرح مشكلة العلاقة بين الفلسفة والسياسة كما تصورتها الفلسفة السياسية الحديثة وجسدتها الليبرالية الديموقراطية والمجتمع العلماني، وبتتبعه لجذور هذا المأزق الذي تعيشه الحداثة السياسية، لا يرى شتراوس مخرجا من الأزمة إلا بالعودة إلى استكشاف البدائل الإنسانية الأساسية، وليس من سبيل أمام الفيلسوف لمعرفة ذلك إلا بالعودة إلى الفلسفة السياسية الكلاسيكية، وذلك غير ممكن إلا بالاستعانة بالفلسفة السياسية في التقليد الفلسفي الإسلامي واليهودي, مثل الفارابي وأبن رشد, وابن ميمون. للمزيد ينظر: أحمد فاروق, الفلسفة والشريعة, مصدر سبق ذكره, ص١٠٦ – ص١٠٧.

[٣] - شادية دروري, خفايا ما بعد الحداثة, ترجمة: موسى الحالول, دار الحوار – سوريا, ط١, ٢٠٠٦م, ص١٨٣.

(٤) هادي قبيسي، مصدر سبق ذكره، ص٢١.

[5] - Kenneth L Deutsch and Walter Soffer , The Crisis of Liberal Democracy, A Straussian Perspective, state University – new York,1987 , p71

(٦) عماد فوزي شعيبي، الصورة النمطية للعالم والنظام العالمي في الاستراتيجية الأمريكية الجديدة وموقع العراق كساحة عمليات فيها، (بيروت: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤)، ص٩٢.

[٧] - مقال بلا مؤلف على الموقع https://stringfixer.com/ar/Straussian, تاريخ بلا.

(*) جمهورية فايمار: هي الجمهورية التي نشأت في ألمانيا في الفترة من ١٩١٩ إلى ١٩٣٣ كنتيجة الحرب العالمية الأولى وخسارة ألمانيا الحرب. سميت الجمهورية الناشئة باسم مدينة فايمار الواقعة بوسط ألمانيا والتي اجتمع بها ممثلوا الشعب الألماني في العام ١٩١٩ لصياغة الدستور الجديد للجمهورية. كان هدف قيام هذه الجمهورية هو الحفاظ على الكيان الألماني موحداً ثم تحقيق الاشتراكية التي خانتها في نهاية الأمر، ولذلك انقسم اليسار الألماني إلى مؤيد لحكومة (فايمار) الليبرالية، كما هو الحال الحزب الاشتراكي الديمقراطي، ومعارض لها كالحزب الشيوعي. للمزيد يُنظر:

Martin Jay, The Dialectical Imagination: A History Of The Frankfurt School and the Institute of social research 1923-1950, Boston, 1973, p.23.

[٨٨] - أمجد حامد, جدلية النخبوية والديمقراطية في الفكر السياسي الغربي المعاصر, أطروحة دكتوراه غير منشورة – جامعة بغداد, ٢٠١٨م, ص٦٨.

[٩] - حنين عماد, الفكر السياسي عند ليو شتراوس, دار الرافدين – بيروت, ط١, ص١٦٦ص١٦٧.

* – ان ما يقصده شتراوس من رفض الحداثة هو ليس فقط الديمقراطية ومفكرين الحداثة أمثال ميكافيلي وهوبز ممن نظروا للاستبداد وأنما يمتد النقد ليشمل كل من الليبرالية والنسبوية والتاريخية. للمزيد ينظر: عماد فوزي شعيبي, ليو شتراوس وتأسيس الفلسفة الباطنية, مصدر سبق ذكره, ص٤٨٥.

[١٠] - حنين عماد, الفكر السياسي عند ليو شتراوس, مصدر سبق ذكره, ص١٦٤ص١٦٥.

[11] - Kenneth L Deutsch and Walter Soffer , The Crisis of Liberal Democracy ,op, cit , p 92.

[١٢] - أمجد حامد, مصدر سبق ذكره, ص٧٠ص٧٢.

[١٣] - وليد مساهر حمد العبيدي, أتجاهات الفكر السياسي الالماني الحديث والمعاصر, رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة تكريت, ص١٢٧.

[١٤] - وليد مساهر حمد, مصدر سبق ذكره, ص١٢٧ص١٢٨.

[15]- Leo Strauss, on tyranny, (Chicago: university of chicago press, 2000), p.75.

[16] - Shadia B. Drury, The Political Ideas of Leo Strauss Updated Edition, Printed in the United States of America. 2005, p 193 p 195.

[١٧] - حنين عماد, مصدر سبق ذكره, ٢٠١٧م, ص١٦٣.

[١٨] - حنين عماد, مصدر سبق ذكره, ص١٦١ص١٦٢.

[١٩] - أنطوني دي كرسبي وكينيث مينوج, من فلاسفة السياسة في القرن العشرين, ترجمة: نصار عبدالله, الهيئة العامة المصرية للكتاب – القاهرة, ط بلا, ٢٠١٢م, ص٧٣.

[٢٠] - أمجد حامد, مصدر سبق ذكره, ص٢٣٩.

[21] - Kenneth L. Deutsch and Walter Soffer, The Crisis of Liberal Democracy A Straussian Perspective, op, cit , pp98 – 99.

[٢٢] - علي باسم خريسان، مصدر سبق ذكره، ص٤ .

[23]- Catherine and Michael Zuckert, op.cit, p.51.

[24] - Kenneth L Deutsch and Walter Soffer , The Crisis of Liberal Democracy, op, cit, p 93.

[25] - Ibid, p 69 p 70.

[26] - Paul E. Gottfried, Leo Strauss And The Conservative Movement In America: A Critical Appraisal, Cambridge University Press, 2012, p.110

(*) محور الشر (Axis of Evil) هي عبارة ترددت أولاً على لسان الرئيس الأمريكي جورج و. بوش في خطاب ألقاه بتاريخ ٢٩ يناير ٢٠٠٢ ليصف به حكومات كل من: العراق، وإيران، وكوريا الشمالية. وقد استخدم هذه العبارة بحسب ما ذكر لأنه يعتقد بأن تلك الدول تدعم الإرهاب وتسعى لشراء أسلحة الدمار الشامل. ويرى الكثيرون بأن فكرة بوش هذه هي التي قادته لبدأ ما يسمى "بالحرب على الإرهاب". موقع (ويكيبيديا) على الشبكة الدولية الإنترنت: https://ar.wikipedia.org

٢٦- باسم علي خريسان، المحافظون الجدد: قراءة في المرجعية الفلسفية والطروحات السياسية، مجلة مدارك، العدد السابع، بغداد، ص٧.

[٢٨] - ناتان تاركوف وتوماس ل. بانجل, مصدر سبق ذكره, ص٦٤٤.

[٢٩]- أمجد حامد, مصدر سبق ذكره, ص٧١.

29- Leo straus, Liberalism Ancient and Modern, The University of Chicago Press Chicago and London, 1968, p4 p6.

30- Kenneth L Deutsch and Walter Soffer , The Crisis of Liberal Democracy, op, cit , p 74 p 75.

٣١- احمد فاروق, الفلسفة والشريعة ليو شتراوس ونقد الحداثة, مصدر سبق ذكره, ص٥٨ – ص٦٠.

[32] - Kenneth L Deutsch and Walter Soffer , The Crisis of Liberal Democracy, op, cit, p 81.

[33] - Leo straus, Liberalism Ancient and Modern, op, cit, p 7.

[34] - Ibid, p5.

3- Ibid, p7.

[٣٦] - عماد فوزي شعيبي, ليو شتراوس وتأسيس الفلسفة الباطنية, مجلة جامعة دمشق – المجلد ٣٠, العدد ١+٢, ٢٠١٤م, ص٤٨٦ص٤٨٧.

[٣٧] - عماد فوزي شعيبي, ليو شتراوس وتأسيس الفلسفة الباطنية, مصدر سبق ذكره, ص٤٨٨ص٤٨٩.
[٣٨] - عبد الرحيم صادقي, نقض الفلسفة السياسية الحديثة نموذج ليو شتراوس, مؤسسة النور الثقافية , نشر بتاريخ ٢٠١٠/٩/١,على الرابط http://www.alnoor.se/article.asp?id=88897,
[٣٩] - روبرت بنيويك و فيليب غرين, موسوعة المفكرين السياسيين في القرن العشرين, مصدر سبق ذكره, ص٤٧٦.
[٤٠] - ست جالي وجيرمي ايرب, أختطاف كارثة ١١ سبتمبر الخوف والترويج لأمبراطورية أمريكية, ترجمة: عبد اللطيف موسى أبو البصل, العبيكان – الرياض, ط١, ٢٠٠٧م, ص١٢٢ص١٢٣.
[41] - Leo Strauss, the Nataral Right and History, Op. Cit., p. 140..
[٤٢] - شادية دروري, خفايا ما بعد الحداثة, مصدر سبق ذكره, ص١٧٣.
[٤٣] - ناتان تاركوف وتوماس ل. بانجل، مصدر سبق ذكره، ص٦٢٤.
[٤٤] - مصطفى كامل عبد الحسن, الاتجاهات الاساسية في الفكر السياسي الليبرالي الامريكي المعاصر, رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة بغداد, ٢٠١٢م, ص١١١.
[٤٥] - وليد مساهر حمد, مصدر سبق ذكره, ص١٣٢.
[٤٦] - مصطفى كامل عبد الحسن, الاتجاهات الاساسية في الفكر السياسي الليبراليي الامريكي المعاصر, مصدر سبق ذكره, ص١٠٤ص١٠٥.
[٤٧] - عماد فوزي شعيبي, ليو شتراوس وتأسيس الفلسفة الباطنية, مصدر سبق ذكره, ص٤٩٧.
[٤٨] باسم علي خريسان، مصدر سبق ذكره، ص٤ .
[٤٩] - مصطفى كامل عبد الحسن, الاتجاهات الاساسية في الفكر السياسي الليبرالي الامريكي المعاصر, مصدر سبق ذكره, ص١٠٣ص١٠٤.
[50] - Shadia B. Drury, The Political Ideas of Leo Strauss Updated Edition, Op. Cit , p 193 p 195.